

اللا ممكن الاجتماعي في الرواية العراقية المعاصرة (رواية بنت دجلة للكاتب محسن الرملي) انموذجا

The Social Impossibility in the Contemporary Iraqi Novel
Daughter of the Tigris by Mohsin Al-Ramli as a Model

الباحث

م. د. علي عبد الزهرة مجيد الناصري

قسم الفنون التشكيلية - كلية الفنون الجميلة - جامعة الشرطة / محافظة ذي قار - العراق

Lecturer Dr. Ali Abdul Zahra Majid Al-Nasiri
Art Department of Plastic Arts / College of Fine Arts
University of Al-Shatrah
Ali.Abdulzahra@shu.edu.iq

الملخص :

يصبح امرا خارجا عنها ومخالفا لها ، الأتيان بتلك الأمور هو غير ممكن حصوله في الواقع الاجتماعي ، لاعتبارات اجتماعية وعقوبات يمكن ان تطال الأفراد المتمردين على ما ساد من قوانين عرفية ، لكن في الرواية وبما أن الخيال له دور كبير في البناء الدرامي الروائي يقوم الكاتب ومن وحي خياله ، الأتيان بما هو غير ممكن اجتماعيا ، وهذا ما جاءت الدراسة لتبينه : كيف تجلت الظواهر اللاممكنة في الرواية العراقية ؟ وذلك من خلال دراسة رواية بنت دجلة للكاتب العراقي ،

الرواية هي أقرب الفنون الأدبية محاكاة للواقع الاجتماعي وأقرب ما تكون احداثها مطابقة للحياة التي يعيشها مجتمع ما ، لذلك لابد ان يكون كاتب الرواية ملتزما بالأعراف والتقاليد التي تحاكي روايته ما يدور في ذلك المجتمع ، وتلك الأعراف والعادات والتقاليد أصبحت بمثابة الشرع أو القانون في الأهمية والاحترام وهي من صنع الجماعة تحكي أوضاعهم وتنقل إخبارهم وتحفظ أمجادهم عبر العصور ، فحين يأتي ما يخالف تلك الأعراف

manifest themselves in the Iraqi novel? traditions, and practices have become akin to law or code in importance and respect, and they are created by the community, narrating their circumstances, conveying their stories, and preserving their glories throughout the ages.

This is done through studying the novel "Bent Dijla" by the Iraqi writer Mohsen Al-Ramli, which dealt with a part of the events that took place in Iraq after 2003, putting our finger on what was included in that novel of events that are socially impossible to achieve because they violate the norms and traditions of Iraqi society, through the actions carried out by Qisma, the main character in the novel, which are considered unacceptable actions that cannot happen in Iraqi society.

Keywords: Novel – Customs and traditions – Social impossibility – Daughter of the Tigris

المقدمة :

ظهرت الرواية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، معبرة عن مشاكل المجتمع من الناحية الاجتماعية والفكرية وكان الهدف من ذلك هو معالجة تلك القضايا من جوانبها المختلفة ووضع اليد على ما موجود من سلبيات في المجتمع، لغرض إبرازها من جانب ومن جانب آخر محاولة وضع حلول ومعالجات لتلك السلبيات وبشكل

محسن الرملي والتي تناولت جانب من الأحداث التي جرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣، واضعين اليد على ما تضمنته تلك الرواية من أحداث غير ممكنة الحصول اجتماعيا لمخالفتها اعراف وتقاليد المجتمع العراقي، وذلك من خلال الاعمال التي قامت بها قسمة الشخصية الرئيسية في الرواية، والتي تعتبر أعمال غير مقبولة ولا يمكن أن تقع في المجتمع العراقي .
الكلمات المفتاحية : الرواية - الأعراف والتقاليد - اللاممكن الاجتماعي - بنت دجلة

Summary:

The novel is the literary art form closest to imitating social reality, and its events most closely mirror the life of a given society. Therefore, a novelist must adhere to the customs and traditions that reflect the life of that society. These customs, When something comes that contradicts those norms, it becomes something outside of them and contrary to them. Bringing about those things is impossible in social reality, due to social considerations and penalties that may befall individuals who rebel against the prevailing customary laws. But in the novel, since imagination has a major role in the dramatic construction of the novel, the writer, inspired by his imagination, brings about what is socially impossible. This is what the study came to show: How did the impossible phenomena

اعتباره غير ممكن حصوله في الواقع الاجتماعي في المجتمع العراقي نظرا لمخالفتها لأعراف وتقاليد ذلك المجتمع ، ما نراه أن اللا ممكن هو ان نحدد ما يخالف العرف الاجتماعي ، ما يخالف ما اتفق عليه الجميع في المجتمع وجاء الروائي ليضمن روايته احداثا لا تماشى مع الأعراف والعادات الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع فما يمكن أن يكون ممكنا في مجتمع ما ، هو لا ممكن في مجتمع آخر والعكس صحيح ، فمبيت الفتاة مع صديقها في بيته هو أمر يتقبله العقل والمجتمع في المجتمعات الغربية ولكن هذا الامر غير وارد ولا يتقبله العقل والعرف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية والعراقية على الخصوص ، وما سبق سوى مثال لما يمكن ان نسميه اللا ممكن الاجتماعي ، وقد رأى كتاب الأدب ردا على منتقديهم ، إن كل الأفعال والأنشطة التي يقوم بها ابطال الرواية والاحداث التي يسردها الراوي ماهي في حقيقة الأمر سوى تسلية ، وفائدتها الوحيدة هي قطع الوقت وقتل الملل ، لذلك فكل مايكتب هو جائز وممكن .

أولا / الأعراف الاجتماعية :

يُقصد بالعرف بصفة عامة : « القواعد التي يدرج الناس على إتباعها في بيئة معينة ويسرون على نهجها في معاملاتهم، مع شعورهم بلزوم احترامها والخضوع لأحكامها بحيث يصل هذا الشعور إلى

معقول ومتسلسل يحاكي الواقع الاجتماعي ، وتطورت الرواية جيلا بعد جيل تحاكي المجتمع ومشاكله مستمدة افكارها من ذلك الواقع المقتبسة منه الحكاية ، ولكن بتطور الرواية تطورت الأفكار ومعالجة القضايا الاجتماعية حتى وردت معالجات لبعض القضايا تخالف ماتم التعارف عليه في المجتمع العراقي وقيمه العرفية المستمدة من الدين الإسلامي وتراثه الثقافي الشعبي ، ويمكن أن نطلق عليها معالجات لا ممكنة ، فما يتم طرحه يخالف الواقع الاجتماعي والعرف السائد في المجتمع وبالخصوص المجتمع العراقي ، الذي جاءت هذه الدراسة لبيان ذلك الامر من خلال دراسة رواية بنت دجلة للكاتب العراقي محسن الرملي المغترب في اسبانيا ، وتتناول الرواية جانبا من المآسي العراقية بعد الأحداث التي عصفت بالمجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ والقتل على الهوية ، فالرواية تتناول قصة تلك السيدة التي قتل والدها ووجد رأسه مقطوعا بدون جثة ، وهنا تبدأ رحلة البحث عن الجسد المفقود لتنتهي الرواية بالعثور على رأس السيدة بنفس المكان الذي عثر فيه على جسد والدها .

موضوع رواية بنت دجلة مقتبس من الاحداث التي عصفت بالعراق وحالات القتل على الهوية التي انتشرت بشكل كبير في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ ، وهذه الدراسة تضع اليد على بعض ما يمكن

تلك التغيرات يوجبها التطور الحديث في مختلف المجالات ، تلك الأعراف لا تخلو من السلبيات بأي شكل من الأشكال ، لكن ذلك الامتثال لهذه القواعد يمنح لأبناء ذلك المجتمع قدراً من الأمان المجتمعي ويضمن نوعاً من التنظيم والتعاون الجماعي ، ولو عدنا بالذاكرة إلى الأعوام ٢٠٠٧ وماتلاها وما قبلها من حرب طائفية وقتل على الهوية في العراق وبين أبناء مكونات الشعب العراقي ، كان الجنوب العراقي ومدنه بعيدة كل البعد عن تلك العمليات ، وإن حصلت فيها بعض الحوادث البسيطة ، إلا أن الأعراف الاجتماعية والسنن العشائرية الموجودة في هذه المناطق ، كانت مانعاً من القتل والتهجير .

الأعراف الاجتماعية والامتثال لها أمور نسبية وتختلف من مجتمع لآخر ، ذلك الاختلاف يأتي من عدة عوامل ، أبرز تلك العوامل الظروف المجتمعية ، والتعاليم الدينية والتيارات المذهبية ، وضبط السلطة الحاكمة ، كل هذه العوامل وغيرها تتأثر بشكل كبير جداً بالعامل العاطفي ، وعلى الرغم من ذلك لا يخلو من سلبيات العمل بتلك الأعراف ؛ أن معظم أبناء ذلك المجتمع وان تمسكوا بتلك الأعراف ، إلا أنهم ينظرون في الأول إلى منافعهم الذاتية ومدى خدمة تلك الأعراف عند التطبيق إلى منفعتهم هم أولاً ، إلا القليل من الذين يحركهم الضمير

الاعتقاد بإلزام هذه القواعد وبالتالي عدم الخروج عليها^١. كذلك يمكن تعريفها : « بأنها مجموعة العادات والتقاليد التي سادت بين الناس وأصبحت بمثابة الشرع أو القانون في الأهمية والاحترام وهي من صنع الجماعة تحكي أوضاعهم وتنقل إخبارهم وتحفظ أمجادهم عبر العصور»^٢ ، أي ان أبناء المجتمع الواحد هم الذين صنعوا تلك القوانين العرفية وهما يتلاءم مع الواقع الذي يعيشونه ، فلا يمكن ان يضعوا أعرافاً تناقض الحياة المعاشة .

وقد عرفها الدكتور عبد الرحمن عيسى في كتابه الأنثروبولوجيا الاجتماعية : « عادات وتقاليد عامة ثابتة نسبياً ، مرجعية ثقافية تاريخية ، وهي مقبولة تحظى باحترام وتتشاركها مجموعة من الناس في بيئة معينة ، بعد تراضيتهم وتوافقهم عليها ، بهدف ضمان نظام سلوكي يتبعه افراد مجتمع ما يشعروهم بالرضا والاطمئنان بأن كل شيء مميز »^٣ ، وهنا نجد ان الأعراف الاجتماعية بحسب صاحب التعريف لا بد ان تكون بتوافق وتراض بين أبناء المجتمع ، لا ان تفرض من قبل فرد أو بعض أفراد المجتمع .

هذه الأعراف والتقاليد فرضت نوعاً من الامتثال بين أبناء المجتمع الواحد ، فهي قوانين وضعها المجتمع وتناقلها من جيل إلى جيل مع إجراء بعض التغييرات التي تتناسب مع كل جيل ،

الخالص والتفكير المنطقي^٤ .

الكثير من أبناء المجتمع الواحد يدعون في معظم الأوقات إلى تغيير تلك الأعراف وبما ينسجم مع التغيرات والتطورات الحداثوية في وقتنا المعاصر أو ما يواكب التطورات المعاصرة ، وهذا يقابله بعض المتمسكين بالتقاليد من محاربة ومقاومة ذلك العصر إلا ان التغيير حاصل لا محالة ، وفي ذلك يقول الدكتور علي الوردي « في كل مرحلة من مراحل التاريخ نجد طائفة من الناس محافظة أو رجعية وطائفة أخرى مجددة تائرة تدعو إلى التغيير والتبديل والتطاحن بين هاتين الطائفتين لا يهدأ مادام المجتمع متحركاً »^٥

لابد من الإشارة أن القيم والمعتقدات التي يؤمن بها مجتمع ما ويعتقها هذا المجتمع هي التي تحكم سلوكه ، مادامت تلك الأعراف مقبولة اجتماعياً ، والقيام بانتهاك تلك الأعراف يسيء بشكل أو بآخر إلى ذلك المجتمع ويؤدي إلى عواقب وخيمة ومثال ذلك في أغلب المجتمعات العراقية والعربية لا يمكن للمرأة ان تتزوج الرجل إلا بعد موافقة الأهل ومباركتهم لهذا الزواج مهما كان عمر المرأة صغيرة كانت أو كبيرة ، وارتباط المرأة بالرجل خلاف هذه الأعراف كان بعقد شرعي أو قانوني ، إلا ان هذا التصرف يعتبر مخالفة للأعراف الاجتماعية ، ويؤدي إلى عواقب وخيمة ، ومشاكل كبيرة وتنتهي بما لا يحمد عقباه .

كتب « وولتر بادجو » في أواسط القرن الماضي كتابه « الفيزياء والسياسة » ، متحدثاً فيه عن النظرية الداروينية ونظرتها في حياة الناس الاجتماعية ، الذي يلفت النظر في ماذهب إليه في كتابه ، هو توكيده بأن الإنسان في أولى مراحل من الحضارة^٦، إنما تتحكم فيه شمولية اجتماعية صارمة، لا يستطيع حيالها أن ينفرد لحياته الشخصية بما يُمليه عليه منطق عقله، على أن ذلك الطغيان المستبد بالأفراد في تلك المرحلة لم يكن سلطان رجل فرد بعينه، بل هو طغيان العادات والأعراف الاجتماعية ؛ فالعادات الاجتماعية ، أو التقاليد الاجتماعية « هي التي ترسم الطريق وتحدد الأوضاع، وعلى الأفراد أن ينصاعوا لها وإلا كان مصيرهم الهلاك على يد مجموعة مجتمعية أخرى أكثر التزاماً بالتقاليد ، وذاك الالتزام هو الذي منحهم القومة والمنعة » ، بادجوت يمضي في تحليله ليبين لقارئه أن مرحلة استبدال العادات بالناس، تزول مع الزمن زوالاً جزئياً، حين يوؤل الأمر في بعض المواقف إلى العقل وأحكامه، شريطة أن يظل للعادات القديمة سلطانها في بقية الميدان، وإلا تشقق المجتمع وانحلت روابطه^٧.

الأعراف الاجتماعية هي سلوكيات يعتبرها المجتمع مقبولة ولكي تكون جزء من ذلك المجتمع وتلك الثقافة لابد من التزام الأفراد بهذه الأعراف ، وإلا فكما بينا

يمكن ان تؤدي إلى تفاعلات محرجة أو عواقب سلبية ، ولا بد من الإشارة إلى أنه لا بد من التفرقة بين الأعراف الاجتماعية وبين العادات الاجتماعية التي يمكن فهمها بانها تشمل ممارسات ثقافية أو تقليدية محددة يعتبرها المجتمع مقبولة وتلك العادات هي فكرة اجتماعية محددة تعرف السلوك المقبول أخلاقيا ، وهذه العادات لا بد من ان تكون ضمن سلوكيات مقبولة من قبل المجتمع .

يمكننا القول إن الدكتور علي الوردي هو العراقي الأكثر دراسة للمجتمع العراقي وطبيعة الإنسان العراقي ولذلك نجد ان عالم الاجتماع يعتبر العراق من المجتمعات التي عاشت بشكل مزدوج الطباع والحياة ، فالحضارة والبداءة موجودتان جنبا إلى جنب ، فرمما كان للحضارة الغلبة في جانب معين وفي جوانب أخرى نجد أن البداءة هي الغالبة وهي المسيطرة على المجتمع العراقي ، وهنا يشبه العراق بدول عربية أخرى كالجائر وتونس والمغرب والشام واليمن ، تنوع الطبيعة المجتمعية للعراق ، جعل هناك صراعا مجتمعيا واضحا وكبيرا ، ان مفهومي الحضارة والبداءة ، مفهومين متضادان في الكثير من خصائصهما ، تلك الخصائص تلعب دورا كبيرا ، في الثقافة الاجتماعية لكل أمة ، هذه الثقافة في الأمة هي كالشخصية لدى الفرد ، كما أن كل فرد له شخصيته الخاصة به ، إذ هو يتميز

بها عن أي فرد آخر ، كذلك تكون كل أمة من الأمم ، إذ إن لها ثقافة اجتماعية معينة ، لا تماثلها أية ثقافة أخرى في أية أمة .

تعرف الثقافة الاجتماعية : بأنها مجموعة التقاليد والقواعد والأفكار الموجودة في أية أمة من الأمم . وهي تشمل مختلف شؤون الحياة فيها كالدين والأخلاق والقانون والفن والصناعة واللغة والخرافات وغيرها^١ .

والثقافة الاجتماعية ليست مجموعة عادات أو تقاليد أو طباع أو تصرفات بسيطة مؤلفة من أجزاء متفرقة ، بل نجدها هي كل ذلك ، بحيث تكون الأجزاء فيه متفاعلة فيما بينها تفاعلاً قوياً يجعلها ذات طبيعة جديدة لم تكن فيها عندما كانت منفردة ، فلبدوي كما للحضري فضائل وصفات ، ولكن فضائل البداءة هي الأكثر بروزا ، والفضائل الرئيسة في البداءة هي الشجاعة والكرم والضيافة والولاء للقبيلة والثأر ، والدكتور علي الوردي عند حديثه عن صفات الشخصية البدوية يؤكد أن من أبرز صفات الشخصية البدوية ، هي نزعة الحرب ، وعدم الانضباط للدولة ، وأهمية النسب ، وصيانة المرأة وشرفها ، واحتقار المهن كالحداثة والنجارة ، والدباغة والحلاقة والحياكة ، والحساسية المفرطة للكرامة ، وحب الرئاسة والأمر ، والنفرة من الطاعة والانصياع ، والحسد

والنفاق والانتهازية والوفاء بالوعد ، اما عن الأخلاق فالبدويون يختلفون فيه عن الحضريين . فمن جانب نجدهم ذوي صدق وعفة وأمانة ، ومن جانب آخر نجدهم ذوي عصبية وثأر وغزو واعتداء ، وهي أبعد عن الأخلاق الدينية . ولا بد من معرفة طبيعة الشخصية الريفية بالعراق ومدى تأثير تلك الشخصية بمفهوم البدوة ، فالشخصية بمعناها العلمي عبارة عن تركيب نفسي يتألف من صفات مختلفة^{١١} ، وهو يميل نحو الانسجام والتوافق مع الثقافة الاجتماعية السائدة ، فكل إنسان يملك شخصية خاصة به تميزه عن غيره من الناس ، والناس يختلفون في نمط شخصياتهم تبعاً لتفاوت مقدرتهم على التجاوب مع الثقافة الاجتماعية السائدة ، فمنهم من ينجح ومنهم من يفشل ، والإنسان هو صنعة ظروفه وعوامله النفسية والاجتماعية ، والشخصية هي نتاج الظروف الواقعية^{١٢} .

أبناء الريف العراقي وعلى مر السنين واختلاف الحكومات إلا أنهم بقوا محافظين على قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم ، تلك العادات في أغلبها هي عادت بدوية تمسك بها أبناء الريف ، ولكن ما حصل أن الفرد في الريف يعاني من ضغوط غير موجودة في الصحراء مثل سيطرة الحكومة ، وجود الأسواق والمرايين ، تحول رؤساء القبائل إلى الإقطاع بسبب تعسفهم في معاملة أتباعهم ، ظهور دوافع

الريح وحب المال لدى بعض الريفيين و استغلال المرأة الريفية ، وأساليب الزواج وامتهان المرأة وقتلها لمجرد الشبهة ، فالفرد الريفي يبقى يعاني من ضغط الواقع عليه تجعله غير قادر على الاستمرار في التمسك بالقيم البدوية التي نحترمها ونعتز بها ، أن أبرز ما يميز المجتمع العراقي عموماً هو التماسك العائلي القوي ، فأفراد العائلة يمتازون بالتضامن وقوة الرابطة والوقوف مع بعضهم البعض أثناء الأزمات والمشاكل ، فالعائلة تشعر كأنها عشيرة صغيرة تجاه غيرها ، وكل عار أو فخر يصاب به أحد أفرادها لا بد أن يصيب بقية الأفراد فيها^{١٣} .

ثانياً / اللاممكن الاجتماعي في الرواية المعاصرة

ظهرت الرواية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، معبرة عن مشاكل المجتمع من الناحية الاجتماعية والفكرية، فضلاً عن ترجمة فلسفتها، اختلف البناء الدرامي للرواية الحديثة بمذاهبها المتعددة من حيث المواضيع والأفكار والشخصيات والحوار والصراع، فالشخصية الواقعية تختلف عن الشخصية التعبيرية، والحوار في الرمزية يختلف عما هو عليه في اللامعقول، ومن هنا كان التنوع والتباين في آلية طرح البناء للموضوعات كافة .

الأدب في كل مذاهبه واتجاهاته لا يمكن

المجتمع المصري وما فيه من سلبيات ، فتحدث عن العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية التي كانت موجودة آنذاك ، أن عملية تصوير المجتمع تصويرا واقعيًا ، ناقلا العادات والتقاليد ، تلك العادات التي تمسك بها المجتمع المصري خلال الفترة الزمنية التي تقع فيها أحداث الرواية ، فنجد أن شخصية أحمد عبد الجواد رب الأسرة في الرواية ، والذي ظهر كشخصية مستبدة ، متسلطة مع أسرته وعائلته ، وبالخصوص مع زوجته التي كانت تطيعه طائعة عمياء ، هذه الشخصية في بيته كانت مختلفة كل الاختلاف عندما يكون خارج بيته وبالخصوص في مرحة وعبثه في الملاهي ومع النساء باثغات الهوى ، هذه الشخصية هي شخصية واقعية لها مقابل في الواقع والمجتمع المصري في ذلك الوقت ، فأمنية زوجة أحمد عبد الجواد هي مثال المرأة المسحوقة في عالم ذكوري جداً ، هذه العلاقة في ذلك المجتمع هي علاقة طبيعية وممكنة ، ولانجد من الغريب أن نجد هكذا شخصيات ، ولكن لو عكس نجيب محفوظ الشخصيات وجعل من أمينة شخصية قوية هي المتحكمة وزوجها هو الخاضع لوجدنا أن هذا القول غير ممكن اجتماعيًا ، وكانت الرواية أقرب منها من رواية غير ممكنة الحدوث على الأعم الأغلب ، نظرا لطبيعة المجتمع الشرقي الذي تسود فيه الشخصية الذكورية .

أن يغير محتوى الحياة أو أن يعود بها إلى الوراء ، بل يمثل مراحل تاريخية وعادات وتقاليد تلك المجتمعات التي تتحدث عنها رواية ما ، بل أن الروايات تحدثنا عن النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لكل مجتمع تقع فيه أحداث الرواية ، فرواية « الحرب والسلام » للكاتب الروسي ليو تولستوي والتي تتحدث عن الحرب عند الغزو الفرنسي لروسيا ، وتعالج الواقع المجتمعي الروسي أثناء الحرب والحديث عن العوائل الروسية أثناء تلك الحرب ، أما مجموعة روايات جين أوستن التي تتحدث عن المجتمع الإنكليزي ، فهي وان عالجت الروايتان أحداث مجتمعية ، إلا ان ما ماموجود من تقاليد مجتمعية في كل مجتمع يختلف الأول عن الثاني ، وهذا يعود إلى الأعراف الموجودة في كل مجتمع ، ولو تركنا الروايات العالمية وطالعنا ثلاثية نجيب محفوظ « قصر الشوق - بين القصرين - السكرية » والتي تدور أحداثها في القاهرة وتحدث عن ملحمة عائلية مصرية في أوائل القرن العشرين ، والتي حاول محفوظ فيها من أحياء التاريخ المصري الذي تدور فيه أحداث الرواية ، كما عمد فيها بشكل كبير على النقد الاجتماعي لذلك المجتمع المصري ؛ نجيب محفوظ في ثلاثيته عمل على أحياء التاريخ المصري الذي تدور فيه أحداث الرواية ، وعمد الكاتب في روايته على نقد

البناء الدرامي ، من خلال عناصر السرد المنتجة لعمل روائي متكامل ، نص رواية بنت دجلة ليس نصا روائيا خياليا ، أو نص روائي بعيدا عن الواقع ، أو قصة لا يمكن لها أن تحصل على أرض الواقع ، بل على العكس من ذلك فالرواية تعاملت مع مرجعيات تاريخية من ذاكرة الزمن الماضي العراقي ، كما نقلت لنا حقائق وقصص تحدث في كل زمان ومكان من الواقع الاجتماعي العراقي ، فوجد الرواية فيها من الشخصيات والاحداث الشيء الكثير ، سواء كانت تلك الشخصيات محورية أو هامشية ، وبعض تلك الشخصيات ليس لها دور فعلي في أحداث الرواية وإنما وجودها كان زخرفيا ليس إلا ؛ الحدث الرئيسي في الرواية هو قصة تلك الفتاة التي قتل والدها في تلك الحرب الطائفية والذي عثر على رأسه في كارتون مخصص للموز مع رؤوس أخرى ، قسمة خرجت مع زوجها الشيخ طارق صديق والدها للبحث عن جسد والدها في العاصمة بغداد لتعود به إلى قريتها لدفنه مع الرأس المقتطوع ، ودارت الأحداث وسافرت إلى بغداد تتجول بين المستشفيات والطب العدلي وغيرها من الأحداث التي كانت حافلة بها الرواية حتى تنتهي بمقتلها والعثور على رأسها مقطوعا وفي كارتون مشابه لذلك الكارتون الذي وجد فيه رأس ابوها .

الرواية كما هو معروف عنها هي

اما الرواية العراقية فإننا نجد ان تاريخ الرواية العراقية يحدثنا أن أول رواية عراقية مستكملة الشروط الفنية للرواية هي رواية « النخلة والجيران » لغائب طعمة فرمان والتي تناولت واقع العاصمة بغداد أيام الحرب العالمية الثانية من خلال الحديث عن حياة مجموعة من الناس الفقراء في حي شعبي وسط بغداد ، وتلتها فيما بعد رواية المخاض للكاتب نفسه صدرت سنة ١٩٥٨ وهي أيضا تناولت حياة المجتمع العراقي ، والروايتان وغيرهما من النصوص الروائية ، تناولت وأهتمت بدراسة الأجواء الشعبية العراقية ، فتضمنت بعض النصوص باللهجة العراقية الدراجة في الحوار رغم أن الكاتب كتب معظم رواياته في منفاه في موسكو .

ثالثا / اللاممكن الاجتماعي في رواية بنت دجلة

عند البحث في صفحات رواية بنت دجلة للكاتب العراقي محسن الرمي نجد ان هذه الرواية تناولت موضوعا ليس بجديد على العراقيين ، فما حدث في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ، وما تلتته من سنوات شهدت حالات قتل وتهجير ، لم يكن لها من قبل شبيه ، تلك السنوات حملت بين طياتها قصصا لاتعد ولاتحصى من مآسي مرَّ بها أبناء الوطن الواحد ، الاختلاف بين الرواة كان في توظيف تلك الحوادث توظيفا روائيا يقوم على أساس

محاكاة الواقع في الأعم الأغلب مالم تكن الرواية خيالية أو عجائبية ، فلذا نجد أن تلك الروايات قريبة كل القرب من القارئ ، تحاكي عواطفه وعقله ، ولكن هذا الأمر لا يمنع الكاتب من استخدام الخيال واللامعقول واللاممكن في أحداث رواياته ، والسبب في ذلك يمكن ان نصيره إلى مجموعة من الأسباب في مقدمتها ، هو محاولة كسر القيود التي تفرضها الواقعية البحتة ، التي تقيده في طرح ما يريد طرحه ، وكذلك العملية التخيلية تسمح للقارئ بتحريك عقله وتفكيره والتأمل في ما يريد الكاتب طرحه وإيصاله للمتلقي ، والسبب الأكبر كما اراه أن الخرد من الواقعية البحتة إلى نوع من الخيال بمختلف مسمياته ، هو الوسيلة الأقوى للروائي للتعبير عن مشاعره ، وايصال الفكرة المراد طرحها ؛ ان عملية كتابة الرواية ليست عملية سرد للأحداث أو تشكيل شخصياتها ، بل الرواية اكثر من ذلك بكثير ، فهي عملية إبداعية تنتقل من حدود الورق إلى حياة المتلقي والكاتب وتتغلغل فيهما على حد سواء ، ما نريد الوقوف عليه في هذه الرواية ، الحالات التي يمكن ان نعدّها ممكنة وواقعة الحصول في الأعراف الاجتماعية ، فهي غير مخالفة لتلك الأعراف ولكنها ، غير شائعة الاستعمال لديهم ، ولأمر الآخر هي الأمور التي غير ممكنة الحصول أو الوقوع بعدها كل البعد عن العادات والتقاليد والأعراف العشائرية العراقية .

١- عدم إكرام الضيف وجعله يقف عند الباب طويلا

سيق وبيننا أن اللاممكن اجتماعيا هو مايرد في الروايات من أحداث أو حالات ليست مخالفة للعقل أو مستحيلة الحصول ، لكن هي أحداث غير ممكنة الحصول لمخالفتها الأعراف والتقاليد للمجتمع العراقي ، ونجد ان مثل هذه الحالات وردت في رواية بنت دجلة وفي اكثر من مكان وأول تلك الحالات هو ماحدث مع الشيخ طارق وقسمة عندما قررا النزول ضيوفا على الشيخ طافر شيخ عشيرة الشخابيط فعندما وصلا إلى باب بيت الشيخ طافر أوقفتهم قوة عسكرية كانت مهمتها حماية بيت الشيخ ، هذه القوة لم تسمح لهما بالدخول رغم تعريف الشيخ طارق بنفسه ، وأنه صديق مقرب من الشيخ طافر « وجد وحدة سيطرة مسلحة أوقفته ومنعته من الدخول .

- سألهم : هل أخبرتم الشيخ بأنني صديقه الشيخ طارق ؟

- قالوا نعم ، وهو الذي أمرنا بعدم فتح الباب لك .

- قالت قسمة : ألم تقل بأنه صديقك واخوك !؟

- نعم طبعا ، ولكن لا أدري والله ما الذي دهاه ! ما الذي حدث ! لا حول ولا قوة إلا بالله »^٣

الكرم سمة العراق المتوارثة منذ القدم،

من عرف قدر الرجال وقدر قيمة الضيف ووضوح نفسه مكانه وفي ظرفه واجود انواع الكرم الذي يكون بدون سابق وعد او معرفه، لمن تكرم وتقدم كل غالي ونفيس وانت لاتعرفه اصلا فهذا قمة الكرم، ونود الإشارة إن الكرم والضيافة هي من شيم العرب التي تربوا بها وعاصروها وتغنوا بها على مدى الأجيال، والشواهد المعنية تشهد بها في جيلنا ومن سبقنا، والى المستقبل في ظل العولمة وما تصبوا اليها!. وقد حفل الادب العربي بالحديث عن الكرم، وعن التضحية كعناوين ترمز الى رفعة الأمة ، كما ورد في الحديث النبوي الشريف ما يؤكد على إكرام الضيف ، روي عن النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه قوله (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإليكرم ضيفه)^{١٤}، ومن الابيات الشعرية في اكرام الضيف» قول حاتم الطائي^{١٥}:

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى
من المال الأحاديث والذكر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا
حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
مما تقدم نجد ان الكرم سمة غالبية على أبناء الشعب العراقي وهو من الخصال والفضائل التي أمتاز بها العراقيين والعرب عامة ما بينا ، ولكن ما حصل من تصرف من قبل الشيخ طافر وعدم فتح الباب لصديقه يعتبر من التصرفات المعيبة التي ينتقد عليها المرء ، وهنا لابد من الإشارة

يحس كل من عايش العراقيين الاصلاح ويقف على حقيقة وأصالة الإنسان الرافديني التي تمتد جذورها إلى الأصالة العربية والحضارات التي تعاقبت عليه ، وفيه ضربت الأمثلة وقيلت الأشعار، فالتاريخ حافل بمواقف راسخة، عكست في مضامينها ارتباط القدامى بهذه الصفة واعتبارها أحد أهم مبادئ الحياة، ولا يمكن التخلي عنها حتى وإن كلفهم ذلك نفيس أموالهم وأملآكهم، فاستقبال الضيف وإكرامه بسخاء، فطرة جبل عليها العراقيين عموماً وأبناء الريف على وجه الخصوص.

العراقيون حالهم حال باقي الشعوب في هذا المجال فهم يملكون عادات وتقاليد خاصة بهم، لكنها تمتاز عن باقي الشعوب بطقوسها ونوعيتها، فمثلا الفرد العراقي يفضل نوع من الاطعمة صباحا، تختلف عن ما يتناوله ظهرا، ويختلف ايضا عما يتناوله ليلا ، كما ان الشعب العراقي الذي صنف الاكرم في العالم، يعتني بالضيف، ويقدم له اجود انواع الاطعمة لإشعار الضيف بأهميته، ويكشف عن سروره به.

الكرم العراقي ، بما يعنيه من تقديم الطعام والشراب للضيف، او للمحتاجين والفقراء، يكاد يغطي على المكارم الأخرى، نظراً لما كان لهذا الكرم من اهمية ترمز الى رفعة المكانة والى وساعة الاعتبار عند مقدم المكرمة، فالكرم صفة يتمسك بها

وأراه وأتكلّم معه ، أو قولوا له ، أن يأتي هو لأراه وأتأكد بنفسى ... فأنا لا أصدق ما تقولون يا جماعة ، لا أصدق ، هذا مستحيل »^{١٧} ، هذا ما حصل من تصرف لانجده ممكن على أرض الواقع ، وان كان ليس مستحيلاً ، ولكن مخالفته لكل الأعراف والعادات والتقاليد المجتمعية جعلت منه أمراً غير ممكن الحصول في الواقع ، بل هو من مقتضيات السرد والحبكة الدرامية للرواية والتي بُنيَ عليها فيما بعد بعض أحداث الرواية .

٢- دخول النساء لمضيف الرجال والجلوس معهم وتبادل الحديث معهم :
عبر أجيال وأجيال استطاعت «المضيف العراقية» ان تؤسس جملة من العادات والتقاليد والسلوكيات التي لا يجوز الاقتراب منها او تجاوزها، واضعة أعراف وتقاليد وعادات لا تعادل قوة القانون فقط، بل يتعداها، وبذلك اصبح حضورها النفسي والمعتقدي يقرب من المقدسات، ومعلوم ان سكان القرى والارياف، هم اهل المضايف ومالكها، لا يتعلمون تلك الاعراف في مدرسة او يأخذونها عن كتاب، وانما تلك المضايف هي من تعلمهم تلك الأعراف ، لذا كان وما يزال للمضيف والديوان احترامه وقوانينه، فلا يدخله شخص وييده مسبحة أو غيرها، ولا بملابس غير محترمة، ولا يسمح بالعلك أو الكرزات فيه، ويترتب الأشخاص حسب الأعمار والمنزلة الاجتماعية، ولا يدخله

أن الكاتب محسن الرملي وكما ذكرنا ذلك من قبل لم يحدد مكان أحداث روايته فيما يتعلق بالقرى سواء كانت القرية التي وجد فيهر رأس إبراهيم والد قسمة ، أو القرية التي يسكنها الشيخ طافر ، وربما يعود ذلك إلى تلك التصرفات التي بينها وذكرها الكاتب وهي منافية للعرف والتقاليد ، فلم يكن يرغب في تحديد جهة معينة خوفاً من اتهامه بالإساءة إلى قومية معينة أو مذهب محدد ، أو منطقة بذاتها لذلك كان المكان مبهماً مع ذكر تلك الأحداث التي وردت في رواياته ، فنلاحظ أن نتيجة عدم استقبال الضيوف وإيقافهم أمام البيت لفترة من الزمن جعل طارق « ينزل من السيارة ويصعد إليها ، يتحدث مع الحراس ، ثم يعود للجلوس صافقاً كفا بكف ، ويكرر النزول والصعود إلى السيارة »^{١٨}

هذا التصرف من قبل الشيخ طافر يخالف كل الأعراف والتقاليد التي نشأ عليها أبناء العراق في جنوبه وشماله ، وفي شرقه وغربه ، فورود هكذا حادثة في الرواية لم تكن ان تقع على أرض الواقع لما فيها من عمل معيب ومخزي وبالخصوص ان هذا التصرف ورد من شيخ عشيرة ، والذي هو الأكثر التزاماً بالعرف والتقاليد ، لذلك نجد أن طارق وصل به الأمر إلى أن يفقد أعصابه حتى وصل به الأمر إلى مخاطبة الحرس بقوله « لاتفتحوا الباب لسيارتي ، ولكن أفتحوه لي أنا ، كي أدخل

الشيخ طارق والشيخ طافر « استطاعت أن تقنع زوجتي طافر ، الثانية والثالثة ، وبعض بناته ، بالاتحاد معها في مغامرة الذهاب إلى صالة الرجال ... لأنه سيكون سابقة خطيرة لاتحمد عواقبها وعقوباتها ، فسلوك كهذا لم يحدث ابدا سيكون الأمر خارقا لكل العادات والأعراف الراسخة حد التقديس ، بل بدا للسيدة الكبيرة ، وكأنه خرق لنظام الكون كله »^{١٨}

الكاتب يؤكد ان هذا الأمر لم يحص من قبل فهو خرق للعرف والتقاليد ، لا بل هو أكبر من ذلك هو خرق للنظام الكوني ، كما يؤكد النص السابق ذكره ولكن الكاتب جاء بهذا اللامكن في روايته لإثارة الفضول وزيادة في المتعة ، بل ان هذا الفعل الذي دخل ضمن السرد الحكائي للرواية كان فيه تمهيدا لحدث أكبر من ذلك بكثير وهي حادثة المسابقة التي سيأتي ذكرها فيما بعد .

إن دخول قسمة والنساء الأخريات لمجلس الرجال وما سبقه يفتح المجال للقول ان هذه الحادثة كانت لها دلالة الصراع بين التقليدي وبين الفعل المعاصر الأول تمثله زوجة شيخ طافر ومن أيدها بموقفها بمنع النساء من الدخول إلى مضيف الرجال ، والثاني تمثله قسمة زوجة الشيخ طارق ومن أيدها بالدخول إلى المجلس ، وما أسفر عنه هذا الصراع هو دخول قسمة إلى المضيف بصحبة مؤيديها ،

شخص بحذاء، ولا يُعطى المُستجير به، حتى اشتهرت المقولة المشهورة عند من يسيء التصرف أو ينتهك عرفا عشائريا « ما مربوط بمضيف » ، بمعنى ان هذا الشخص لا يحسن التصرف ولا يعرف العادات والتقاليد .

اما بخصوص دخول النساء إلى المضاييف والدواوين ، فالأعراف والتقاليد العشائرية في العراق لم تسمح للنساء بالجلوس في مضاييف الرجال ، فالمضيف مكانا خاصا للرجال يجلسون فيه للتسامر والحديث فيما بينهم والتشاور في أمور خاصة تتعلق بالعشيرة وهو مكان للتجمع في الافراح والاحزان ، ولكن نلاحظ في الفترة الأخيرة وبعد التغير الكبير في الأجواء والمناخ السياسي بعد عام ٢٠٠٣ ، بينما نرى ان بعض النساء تدخل للمضاييف وتجلس مع الرجال ، وليس كل النساء ، وانما من لها مكانة سياسية في الدولة ، كما نرى بعض النائبات أو المرشحات في الانتخابات ورغم معرفة الهدف من الزيارة ، لكن يبقى هذا الامر حالة شاذة لا يشجعها المجتمع العراقي بكل عشائره وأطيافه ومناطقه.

ما نلاحظه في رواية بنت دجلة ان قسمة وبرفقة عدد من النساء والأطفال تدخل على الرجال وهم مجتمعين في مضيف الشيخ طافر الشخابيطي وهذا الامر هو أمر خطير ولم يسبق حصوله ، والكاتب يبين ذلك بأن هذا الأمر هو سابقة خطيرة ولا يعرف ماهي ردت فعل كل من

الجديد الذي يخالف بشكل أو بآخر تلك التقاليد والأعراف التي كانت سائدة في المجتمع العراقي ، الرملي أراد التمهيد لرؤية جديدة معاصرة للواقع المعيش بعد استقراء المستقبل فما كان في وقتها لأمممكن أصبح الآن واقعا نعيش فيه فنرى النساء بعد ثلاثة وعشرين عاما من الغزو الأمريكي للعراق ، وهي الفترة الزمنية ذاتها لأحداث الرواية ، نجد ان دخول النساء إلى المضيف العشائري أصبح أمرا ممكنا وطبيعيا ، الرملي أراد من خلال هذه الحادثة الكشف عن الظواهر السلبية والايجابية في العرف والتقليد العشائري ، وتحليلها جماليا واجتماعيا ، موائما بين أسلوبي الإدانة للسلبيات ومحاولة تقويمها ، والتنويه بالإيجابيات والعمل على تعميقها ، موظف أدواته الفنية عبر سرد أفكار جديدة توازن بين الحقائق الواقعية ، وبين التخيل القصصي الذي شكل مادته الروائية ، محسن الرملي أراد من خلال طرحه لفكرة دخول المرأة في ما كان يحرم عليها حرمة أبدية ، القول بأن أي تغيير ثوري في البناء الاجتماعي وفي الطابع الفكري للمجتمع يحدث تغييرا مشابها جذريا في الفن الروائي وهي تغييرات تقتضي بدورها تغيير الشكل الفني في بناء العقدة ورسم الشخصيات .

١- م بارزة الذكورة والانوثة بين

الشيخ طافر وقسمة

وهنا كانت الصدمة التي أصابت الجميع بحالة من الذهول فهذا الأمر وكما سبق القول لم يحصل أبدا من قبل ، وهنا لابد ان يكون التصرف تصرفا ينم عن ذكاء وحنكة ، فأى تصرف غير مدروس تكون عواقبه وخيمة ورغم صعوبة الموقف لكن ما يتمتع به الشيخ طافر من ذكاء جعله يتصرف بحنكة الشيخ الفاهم القادر على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ، وهذا ما يؤكد الراوي « كان على الشيخ طافر ، أن يبادر سريعا لتلافي الموقف المفاجئ هذا ، وبالطبع لم يكن امامه من حل آخر سوى الترحيب ، اجاد تماسكه الذي اعتاد عليه في مواقفه المحرجة »^{١١} ، لم يكن الموقف سهلا ، بل كان موقفا محرجا بكل ما تحمله هذه اللفظة من معنى ، لولا سرعة بديهته الشيخ طافر لحصل ما لايحمد عقباه ، إن تصرف قسمة وبحسب الأعراف والتقاليد العراقية السائدة كانت جريمة بحد ذاتها ، وهنا لابد من القول أن لجوء الرملي لجر الأحداث نحو اللاممكن الاجتماعي من خلال الأحداث التي يسردها أراد من ذلك الإشارة إلى التغييرات الكبيرة التي طرأت على طبيعة الشعب العراقي من خلال الإشارة إلى تصرفات قسمة وهو الذي سماها بنت دجلة ، إن الظروف الذاتية كان لها دورها في ظهور هذا الاتجاه الجديد بصورته الناضجة ، والتي تتعلق بطبيعة الانتماء الاجتماعي

تحكم سلوكهما قيم شخصية، بل يمثلان قيم المجتمع السائدة أثناء تفاعلها مع أبنائهما، فإذا كان المجتمع يؤمن باختلاف أساليب التربية الموجهة للذكور، وأساليب التربية الموجهة للإناث، فإن عملية التنشئة الاجتماعية في هذه الحالة تتم وفق نمطين اجتماعيين مختلفين، نمط يرفع من شأن الذكر ويعطيه حق التسلط، ونمط يستضعف المرأة ويحط من قيمتها، ومن ثم ينطبع سلوك كل منهما بطابع خاص، فيشبان على الاختلاف وعدم الاتفاق، مما يخلق صراعا نفسيا بينهما تغذيه رغبة الرجل في التسلط خوفا على هدر رجولته، وتمرد من قبل المرأة على القيود الذكورية التي جعلتها أقل شأنًا من الرجل .

هذه الإشكالية كانت نقطة الخلاف بين قسمة التي تمثل جانب المرأة والمدافع عن حقوقها، والشيخ طارق الشخايطي المتفاخر برجولته والمتباهي بها، أمام الجمع الموجود في مضيفه، هناك كان ذلك الحدث الذي صعق به الجميع، وما حدث هو أقرب للخيال منه إلى الحقيقة .

الكاتب صور لنا قسمة الشخصية الرئيسية في الرواية بإنها شخصية قوية نشأت منذ طفولتها، تميل إلى العمل الرجولي، وتريد ان تكون ذات شخصية قوية، هذا الميل لم يأت من فراغ بل كان ردت فعل لما تربت عليه قسمة،

المرأة على مر العصور تخوض صراعا دائما من أجل الحصول على حقوقها المسلوبة من قبل الرجل، وهذا أدى بدوره إلى انعدام التفاهم والانسجام بين الجنسين وحال دون التكامل في الأدوار بينهما، فهل فعلا أن الرجال غير مستعدين للتخلص من العقلية الدونية للمرأة ويرفضون تمتعها بحقوقها كاملة؟ هذا السؤال كان محور الأمر الثالث اللاممكن حصوله على أرض الواقع والذي أورده كاتب رواية بنت دجلة وجعل من تلك الحادثة الخيالية، حادثة لها وجود في الرواية ولكن لا يمكن لها بأي شكل من الأشكال أن تقع على أرض الواقع لا لمخالفتها الأعراف والعادات العشائرية والاجتماعية، بل لعدم قبول العقل لإمكانية حدوثها في أي زمان أو مكان .

التمييز بين الذكور والإناث، ثقافة تتوارثها الأجيال من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام وخاصة الأسرة، فعندما يؤيد الآباء مبدأ المساواة بين الجنسين لفظيا، ويحتفظون بالتقسيم التقليدي للعمل في المنزل، تكون بناتهم أكثر عرضة لتصور أنفسهن في وظائف تقليدية مثل التمريض أو التدريس أو تربية الأطفال في المنزل.

ويرى عالم الاجتماع الأميركي تالكوت بارسونز^{٢٠} أن الوالدين أثناء تفاعلها مع الطفل لا يقومان بأدوارهما الشخصية، بل يؤديان أدوارا ينظمها المجتمع، كما لا

وكان مدافعاً بقوة عن قناعاته هذه ، وهذا الأمر ولد ردت فعل شديدة لدى قسمة قالت له « ان القضايا المتعلقة بالوطن والكرامة تخص الجميع ، رجالاً ونساءً ، كباراً وصغاراً ، بل وحتى أبقاره وحميره ... لأن النتائج تخص الجميع ، انها مثل حق الحياة ومثل معضلة الموت ، لا تفرق بين ذكر وأنثى ، سواء كان صغيراً ام كبيراً »^{٢٢} ، هذا رأي قسمة وهو على النقيض من رأي الشيخ طافر فهو يرى ان لكل شيء في الحياة دور ، ودور المرأة تختلف عن دور الرجل ، والخطأ أن يتغير دور كل شخص ، بل هذا التغير في الأدوار له نتائج كارثية وخطرة يقول : « لكل كائن دوره المنوط به في الطبيعة والحياة ، ومثلما أن الشجرة شجرة ولها دورها ، والثور ثور ولكل دوره ووظيفته ، كذلك الأمر بالنسبة للرجل والمرأة ، ولا عيب أن يتكيف ويؤدي كل دوره ووظيفته ، لأن الاخلال بتغيير الأدوار والوظائف ، سيكون خطأً ، بل كارثةً ، فلا يمكننا أن نطالب الثور بأن يمنحنا الحليب »^{٢٣} ، هذا هو رأي الشيخ طافر وسبق أن بينا ما تؤمن به قسمة ، من هذا التناقض بين الشخصيتين ، بدأ الصراع الكلامي بين الأثنين في مضيف الشيخ الشخابيطي ، الصراع كان على لسان الأثنين ، وهو أوسع من ذلك بكثير فهو صراع بين النوعين على مر العصور والأجيال ، بين من يؤمن بحرية المرأة والدفاع عن حقوقها وبين

فوالدها كان رجلاً قنوعاً إلى حد التسليم بالقدر كما يصف لنا كاتب الرواية ذلك بالقول « وما تمردتها على أبيها إلا لأنها وجدت فيه صفة التسليم بالقدر والافتقار بالصبر والاحتمال إلى حد تسمية أصحابه له (إبراهيم قسمة) بحكم جوابه الثابت على كل حادث وحديث (كل شيء قسمة ونصيب) ، بل وإلى الحد الذي أسماها هي قسمة لشدة إيمانه بهذا الأمر وتطابقه مع شخصيته »^{٢١} ، تلك الانهزامية التي امتلكت والد قسمة جعلتها تبحث عن شخصية مختلفة للزواج منها شخصية قوية ، طموحة ، شخصية تبحث عن صناعة مستقبلها ، غيرة من الآخرين ، لذا كان الشخص الذي وافقت على الزواج منه فيه هذه الصفات ، بل كان طموحاً إلى الحد الذي أشترك في محاولة الانقلاب على نظام صدام والمشاركة في ذلك الانقلاب العسكري الذي أعدم هو وكثير غيره بعد تلك المحاولة .

قسمة كانت مؤمنة بأن البشر متساوون بالحقوق والواجبات ، وأن لا فرق بينهم بالجنس ولا تمييز بينهم ، هي ترى ان لا فرق بين الرجل والمرأة كل له دور عليه القيام به ، فالوطن والدفاع عنه وعن حقوقه وقضاياها ، ليست حكر على الرجال دون النساء ، وهذا الأمر يختلف كلياً عند الشيخ طافر الشخابيطي ، المقتنع بان الرجل له من الحقوق الكثير وأن المرأة ليس لها إلا بيتها واطفالها ،

من يؤمن بإنها لا حق لها سوى الحقوق الزوجية وعليها مهام البيت والأطفال . ما زاد من شدة الحوار هو التغيير السياسي الذي منح المرأة حقوقا لم تكن تحصل عليها من قبل ومنه حق « الكوتا » ، وهو حق منحه الدستور للنساء بأن لهن نسبة ٢٥٪ من مقاعد البرلمان أي كل ثلاثة رجال لابد أن تكون الرابعة امرأة حتى وأن كانت الأصوات الحاصلة عليها أقل من كثير من الرجال ، لذلك نجد أن الكثير من النساء حصلن على مقاعد برلمانية رغم قلة الأصوات الحاصلات عليهن ، هذا الأمر كان من الأمور التي تثير حفيظة الشيخ لحصول النساء على كرسيين وحرمان أبناء عشيرته منهما بسبب الكوتا ، والشيخ فقد الكرسيين لعدم قناعته بترشيح النساء ؛ وعادا إلى الجدل حول هذه المسألة وأشدت الصراع الكلامي بين الأثنين حتى وصل الأمر إلى ان قال الشيخ الرجل رجل والإمرأة إمرأة ، هنا كان الرد من قسمة بأن كل المهام يمكن أن تقوم بها المرأة ، بل أكدت على أن المرأة لديها من المهام ما يعجز عنه الرجل كالحمل والولادة .

بعد الوصول إلى هذه النقطة واعتقاد الشيخ طافر أنه بدأ بالتغلب على قسمة في هذا السباق الكلامي ، بدا بالتهكم والزهو وزاد في تهكمه حتى وصل إلى قوله : « استطيع ان أقول لك مثلا بسيطا يدل دلالة قاطعة على أن المرأة ليست

كالرجل ، فأنشدت إليه الأسماع والأنظار ، وران الصمت ، إلا من سؤلها : ما هو ؟ قال : أن الرجل يستطيع ان يبول وهو واقف ، أما المرأة فلا تستطيع ذلك «^{٢٤} ، من الحديث السابق نجد أن ما تحدث به الشيخ هو امر معيب ولا يسمح به عرفيا واجتماعيا امام النساء المصونات ، لأن هناك تقاليد تحدد ما يمكن ويسمح به من الحديث مع النساء ، أضف إلى ذلك ان الحديث تم داخل المضيف والذي يعتبر مكانا له حرمة و قدسيته لدى أبناء العراق بمختلف قومياته وطوائفه ، فهم وان ، اختلفوا في الكثير من العادات والطقوس وحتى عقائديا ، لكن يبقى الديوان والمضيف (مكان استقبال الضيف) ، بمختلف مسمياته ، مكانا له قدسية وحرمة لا يستطيع أحد ان يتخطاها ، ونعود إلى الرواية لنجد أن الشيخ الشخبطي أكد على ان هناك أمور لا يمكن للمرأة أن تقوم بها ، ومنها التبول واقفة ، هذا الأمر وان كان مستحيلا في كل المقاييس ، فما يعرف من خلال التكوين الفسيولوجي للنساء ، فمنطقة الحوض لدى النساء تختلف ، اختلاف كبيرا عن الرجال ، فتلك المنطقة تضم المهبل والرحم والأعضاء التناسلية ، أضف إلى ذلك أن النساء لا تمتلك غدة بروستاتا، وهي تدعم المثانة عند الرجال أثناء الوقوف ، يسبب هذا النقص في الدعم ضغطًا إضافيًا على منطقة المثانة

آذانهم الآن من قسمة «^{٢٧}» ، هنا لو دققنا في ما كتبه الكاتب لوجدنا إشارة جدا ذكية لما يتعرض له العراق ، فهو يتحدث عن المستحيل وكيف لا يمكن بأي شكل من الأشكال تصديق إمكانية مقدرة قسمة او النساء بالعموم على التبول واقفة ؛ فيعرج هنا على حقيقة ما عاشه ويعيشه العراقيون ، فالأمريكان نقلوا كل ما استطاعوا نقله إلى الولايات المتحدة ، من آثار ونفائس ، ومخطوطات تاريخية وغيرها ، إضافة إلى سرقة النفط العراقي ، ولذا هو ومن باب التهكم يذكر أن العراقيين يمكن أن يصدقوا ان الأمريكيين قادرين على تقسيم العراق بأهله وناسه وحيواناته ، ونقلهم جميعا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بالسفن والطائرات ، لهو اكثر تصديقا من أن تقف المرأة لتبول واقفة ، لكن جواب قسمة ، ونبرة التحدي واضحة جلية علو صوتها ، جعل الكل يشكك في عقلية هذه المرأة فكيف يمكن لها ان تقوم بهذا الشيء وامام هذا العدد الكبير من النساء والرجال وهناك الكثير من الجنود الأمريكيين والجنرال الأمريكي ذات الأصول العربية ويجيد التحدث بها .

نلاحظ أن التحدي الذي واصلت به قسمة فرضه على الشيخ طافر الشخابيطي جعله يحاول أن يغير الموضوع وان يتحدث بهدوء وبحكمة ، متيقنا من نصره معرفته الجيدة بعدم إمكانية حصول هذا الامر ،

عند عدم الجلوس، مما يصعب إفراغها تماماً^{٢٥} عند الوقوف لا تسترخي عضلات قاع الحوض بشكل صحيح، لذا قد لا تفرغ مئنتها بالكامل.

إذا لم يتم إفراغ المثانة بالكامل ، فقد يؤدي ذلك إلى زيادة الالتهابات وحصوات المثانة، وحتى التأثير على صحة الكلى على المدى الطويل ، فالمرأة حتى وان قامت برفع ساق واحدة، لا يرتاح قاع الحوض بشكل صحيح، لذا لا تتمكن المثانة من إفراغها بالكامل ، لذا نجد ان المرأة ، لابد لها من الجلوس ويعتبر التبول أثناء الجلوس الوضع الأمثل لإرخاء هذه العضلات^{٢٦}.

مما تقدم نجد ان الله جل في علاه جعل للمرأة تكويننا خاصا بها لا تستطيع بموجبه التبول واقفة ، وهذا ما أكدته الرواية وبينت هذا الأمر ، لما يعرفونه عن المرأة واستحالة أن يصدقوا ماقالته قسمة من إنها تستطيع التبول واقفة ، فيصف الرملي حالة الجالسين» ذهل الجميع وُصدم ، كما لم يندهل ويصدم من قبل ... فلو قيل لهم بأن البعير يطير لصدقوا ، ولو قيل لهم بأن الامريكان سوف يقطعون العراق كله وبكل مافيه أرضا وسماء وبشرا وزرعا ... وينقلونه قطعة قطعة في البواخر والطائرات ، كما نقلوا آثاره التاريخية ونفطه إلى هناك خلف المحيطات و... و ... لصدقوا هذا الأمر كله ... اكثر من إمكانية تصديق ما سمعته

الكبيرة ظلت جالسة مرتعبة تكاد تلطم خديها لهول ماقد تنتجه هذه المسابقة التي أصرت عليها الضيفة المجنونة ، ولكن هول الموقف دفعها للذهاب لأقرب مكان يمكن فيه متابعة المسابقة ، طارق زوج قسمة لايعرف حاله إلا الله فهو أشد الموجودين حرجا وحسرة ، الكل خرج من المضيف لمشاهدة وحضور المسابقة الفريدة من نوعها التي لم يسبق أن حصلت من قبل ولم تحصل بعد ذلك لا في عشيرة الشخابيطي ، ولا في باقي العشائر . وبعيدا عن التحضيرات التي تمت لهذه المسابقة واختيار المكان من قبل خادم الشيخ طافر « رهيب » القصير كما يصفه الكاتب والمفتول العضلات ، والذي كان حكما لهذه المسابقة ، قسمة وآخر لحظة أصرت على التحدي ، فرغم طلب الشيخ طافر أن تتقدم هي لبدء السباق ، لإنها امرأة « السيدات أولا »^{٢٠} أصرت هي ان يكون التقدم سوية ، فالغرض من السباق هي المساواة « قالت قسمة : بل نتقدم سوية ونقف على الخط متجاورين ، لإننا نبارز أساسا لإثبات المساواة»^{٢١} .

وجرت المسابقة التي اطال الكاتب في ذكر تفاصيلها وكيف جرت وأن الشيخ طافر هو من بدء السباق ولكن لم يستطع أن تصل كمية البول في مثانته إلى الجدار الذي أختير كحد فاصل للفوز بالسباق ، وكيف تأخرت قسمة في البدء ، وكيف شعر الشيخ وانصاره بنشوة الفوز مؤقتا

فهو ينتقل من الحدة والتحدي إلى النبرة الهادئة مبررا ذلك لقسمة بان تحديها ماهو إلا مزحة منها أرادت به ان تغير من مأساوية الدنيا وما فيها من مآسي وأحزان « وأنتك أضفت إلى سهرة الليلة وأنس سمرها ، نكهة مرحلة ظريفة لا نظير لها ... ومرارة مأساويتها إلى حد لا يعرف المرء كيف يتعامل معها والتعبير عنها إلا بالسخرية والضحك والمزاح »^{٢٨}، وأعتقد هو بعد هذا الكلام أن الموقف أنتهى فهو رفع الحرج عن نفسه وعن صديقه طارق وعن قسمة ، ولم يخطر على باله أبدا ، أو على بال الشيخ طارق زوج قسمة الذي كان في قمة الأحراج ، الذي كان يواصل شرب الماء ومسح عرقه أن تواصل قسمة تحديها ، فردت بقوة « ولكنني لا أمزح يا شيخ وإنما أتحدث بمطلق الجدية »^{٢٩} ، هنا وبعد ذلك التحدي كان لابد ان يخضع لطلبها وان تجري المسابقة التي أرادتها قسمة .

قسمة زادت تحديها ولم يكن من سبيل للخروج من هذه المحنة إلا بتلبية طلبها وإجراء السباق ، وهنا لابد من بيان كيف كان حال شخصيات الرواية كما يصورهم الراوي ، قسمة كانت هي سيدة الموقف والمتحدية الواثقة من انتصارها بهذه المسابقة ، الشيخ طافر الشخابيطي المتحدى ، وضع على نفسه ثلاثة شروط يحققها لقسمة أن هي فازت بالسباق فلم يكن في حال يحسد عليه ، زوجة طافر

يجعل من المستحيل بأي شكل من الأشكال خروج إدرارها وهي واقفة ، بل نجد أن الكاتب في الفصل التالي وهو يصف حالة زوج قسمة « طارق » كيف هرب من عينيه النوم رغم التعب وما حدث لهم من أحداث في هذا اليوم فلم يستطع النوم بل فكر كثيرا في كيف قامت بهذا العمل ، حتى وصل به الأمر ، أن يتساءل هل هي امرأة « وأشد ما كان يحيره كيف إنها بالت وهي واقفة .. هل هي أنثى فعلا ؟ »^{٢٤}، الشيخ طافر لم يكن بأفضل حالا من صديقه طارق ، فهو لم يذق النوم أبدا في تلك الليلة مستغربا من كيف فازت ؛ الأثنان تبادلوا الحديث وهم في طريقهم إلى صلاة الفجر وأفصح كل لصاحبه عن تساؤله فيقول طافر لطارق « ولكن يا أخي بعد الذي حدث ، أقصد فوزها بالرهان ، صُعِقْتُ ولم أستطع النوم طوال الليل ، لأنني لا أفهم كيف ، وحتى هذه اللحظة لا أفهم ، ولهذا اردت أن أسالك أنت ، فباح له طارق ، بأنه هو الآخر لم يستطع النوم وبأنه لا يفهم لأنه لم يمسهها بعد ولم يكشف عن جسدها »^{٢٥} ، هذا السؤال ربما ورد في فكر الجميع ، والذي اجابت عليه قسمة فيما بعد لطارق ، عندما استقرا في بيتها في بغداد وبعد ان توطدت العلاقة بينهما « قالت لطارق : انظر ، التفت ورأى في كفها قمعا صغيرا وردي اللون من البلاستيك أو السليكون ، فسأها

، ولكن في نهاية المطاف كان الفوز من نصيب الشيخ قسمة اذ استطاعت إيصال إدرارها إلى الجدار الذي كان خط نهاية السباق ، بل أضافت أن خطت بما خرج منها كلمة أنثى مما أصاب الجميع بالذهول والاندھاش ، وسط فرحة نساء عشيرة الشخابيطي اللواتي اعتبرن هذا النصر هو نصرهن جميعا « سارعت قسمة لإطلاق مافي مثنائها المحتبسة ، حيث لم تدخل الحمام سوى مرة واحدة مع طفلها منذ وصولهم ... فيما ذهل الجميع وهم يرون كلمة انثى تنكتب ، وان كانت بخط رديء على الجدار فتهالت أصوات دهشتهم رغما عنهم من أفواهم التي انفتحت من أقصاها ، ثم صدحت زغرودة من وسط جمع من النساء ، اعقبتها بالتصفيق الحار ، وتبعهن الصغار بالتصفيق والصفير والصراخ ، كأنهم شهدوا تسجيل هدف كرة قدم وأعلن رهييب بصوته الجهوري الواضح وبحماسة طافحة : فازت الشيخة على الشيخ »^{٢٦} ، انتهت المسابقة بفوز الأنثى على الذكر ، او كما سماها الكاتب عندما وضع عنوانا فرعيا لهذا الفصل « مبارزة الأنوثة والذكورة بحضور الأمريكان والعشيرة »^{٢٧} ، هذا العنوان يبين ان السباق لم يكن بين طافر وقسمة بل الكل ناب عن جنسه ، واستطاعت الأنثى أن تفوز ، هذا الفوز الذي دفع الجميع إلى التفكير مليا بكيف فازت وبحسب العلم فأن طبيعة المرأة

ماهذا؟ قالت: بهذا فزت على صاحبك.. هل ارتحت الآن؟ ... هذا يسمى (شيوي Shewee) تستخدمه النساء اللاتي يقرفن من الجلوس في الحمامات العامة الوسخة ... مما يتيح لهن قضاء حاجتهن وقوفا... فكان بإمكانني أن أقذف إلى مسافة أبعد لو لم يكن الحائط آمنا، هي تشرح وطارق يردد منبها: أوه أوه يا للنساء، يا لمكرهن ودهائهن»^{٣٦}، من خلال ما دار بين طارق وقسمة من حديث انكشفت حقيقة فوز قسم على الشيخ طافر. وهنا يسدل الستار على هذه المسابقة التي لا يمكن بأي شكل من الأشكال ان تجري على أرض الواقع الحياتي لا لاستحالتها، وانما لمخالفتها كل الأعراف والتقاليد العشائرية والمدنية الموجودة في العراق وفي غيره من البلدان.

ومن خلال دراسة رواية بنت دجلة نجد أن البيئة السردية للرواية والتي بنيت في الأساس على مقتل والد بطلة القصة، وخروجها للبحث عنه، هو الحدث الأساس للرواية، لكن الحدث الذي جعل الرواية تتحرك أحداثها تقديما وتأخيرا وتتشابك تلك الأحداث مع الحدث الرئيسي هو الزيارة التي قام بها طارق مع قسمة زوجته إلى بيت صديقه الشيخ طافر الشخابيطي، ومن خلال تلك الزيارة عمد الرملي إلى اللجوء إلى اللاممكن الاجتماعي لصياغة أحداث الرواية وبناء القص الروائي لها، من خلال طرح فكرة المساواة وعدمها بين الرجل والمرأة وما نتج عنها من أحداث سبق بيانها، بدأ اللاممكن في الرواية من خلال دخول قسمة والنساء إلى مضيف الشيخ طافر، ودخول النساء والجلوس مع الرجال، وتبادل الحديث معهم، لا يمكن حصوله في العرف الاجتماعي بأي شكل من الأشكال، وما الحالات التي نراها مؤخرا من زيارة بعض المسؤولات لمضيف الرجال والجلوس معهم، ماهي إلا حالات غريبة وشاذة على المجتمع العراقي.

من خلال طرح قضية الفرق بين الرجل والمرأة وحقوق كل منهما، الموضوع الذي طرحه الرملي بأسلوب جديد، مستخدما خياله الروائي ل طرح تلك القضية بصيغة فنية إبداعية محترفة، فسباق إثبات أيهما الأقدر على سبق الآخر من خلال تبوله واقفا، هذا السباق لا يمكن أن يحصل بأي شكل من الأشكال على أرض الواقع، الكاتب حاول الكشف عن النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لأولئك الناس، وكيفية تفكيرهم، وكيف يعيشون، ذلك الخروج عن الأعراف والتقاليد لم يكن مانعا للخروج عن المحتوى الجمالي لبناء الرواية أو هدمها لبنيتها القصصية، بل على العكس ماجاء به كان أساسا في بناء الحدث الروائي للرواية، فذلك الحدث تم فيه بناء أحداث الرواية. اللاممكن الاجتماعي الذي جاء به

قدمته قسمة من اطروحة نفت بموجبها أن يكون هناك أي فرق بين الاثنين ، ولا بد أن يكونا كليهما على قدم المساواة في بناء الوطن والدفاع عنه وفي الحقوق والواجبات ، لكن الحادثة التي وردت في الرواية وهي (سباق الذكورة والأنوثة) ، والتي تحدث بها قسمة كل الرجال وبالخصوص الشيخ طافر ، معالجة غير ممكنة اجتماعيا على أرض الواقع ، من الناحية الأخلاقية فكيف يمكن أن تقف امرأة وامام حشد كبير من النساء والرجال والأطفال ، وهناك عدد غير قليل من الأجانب ، وتقف لتعرض مقدرتها على التبول واقفة ، هذا من جانب ومن جانب آخر هناك الشيخ طافر الذي وقف هو كذلك أمام هذا الحشد ليثبت أنه الأقوى في دفع ما تحمله مثانته إلى نقطة أبعد مما تستطيع قسمة ، وامام هذا الحشد الغفير من أبناءه وأبناء عشيرته ، وهو ماله من مكانة اجتماعية وسطوة وهيبة ، أضف إلى عقليته الراجحة وما عرف عنه من حسن التصرف ، رغم كل ذلك يقف ليتبول امام كل هذا الحشد ، وقبل ذلك يسمح للنساء بالدخول والجلوس بين الرجال في مضيفه ، فمن البديهي أن هذا كله لا يمكن أن يحصل على أرض الواقع بعيدا عن الخيال الروائي ، ولاننسى الحادثة الأولى من إيقاف الضيوف (طارق وقسمة) على الباب دون السماح لهم بالدخول إلى بيت الشيخ طافر ، من

محسن الرملي في روايته هو خروج عن العرف العشائري السائد ، ولم يكن بأي شكل من الأشكال خروج عن السياق الجمالي للرواية ، ولم يكن تغييرا للبنى أو هدمًا لبنية الرواية الزمانية ، بل نجد الرواية كانت على نسق زمني تتابعي ضمن القواعد الخاصة لكتابة الرواية على أعلى ما يكون وفي هذا السياق نستذكر قول موندريان أحد الفنانين التجريديين حين يقول : « ان الفن ليس له معنى إلا بمقدار ما يعبر عما هو غير مادي ، لأن هذا هو الذي يمكن الإنسان من أن يتعالى على وجوده »^{٣٧} ، ان ما أتى به محسن الرملي من صياغة أدبية يمكن ان ندرجه في الكتابات الما بعد حداثوية والتي تمرد فيها السرد على الصيغ الفنية التقليدية ، مقتفيا أثرهم وما نادوا به من أن الاتجاه الجديد هو لخلق فن يقوم على أساس ربط التراث التقليدي بالجديد ، ولكن هذا ما لم يحصل ، فالخروج كان خروجًا غير مسبوق ، فكسرت أغلب القيود التراثية سواء ما كان متعلقًا بكتابة الرواية ، أو بالمضمون « اللفظ والمعنى » ، فالمفترض محاكاة الواقع ، لكننا نجد بعض الأحداث بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي العراقي ، وغير ممكنة الحصول في الواقع الحياتي .

ان اللا ممكن الاجتماعي الذي طرحه محسن الرملي كان ظاهره الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة من خلال ما

يحدد الفترة الزمنية تحديدا دقيقا ولكن الزمان في تلك الحادثة بُني على أساس تصاعدي حتى الوصول إلى نهاية الحدث وإجراء السباق وختام المشهد الروائي .

الخاتمة :

١- تبرز قضية الاحتلال الأمريكي في مقدمة الإشكالات التي تصدى لها الروائيون العراقيون بعد الغزو الأمريكي للعراق ، لأن الغزو وما أحدثه من انقسامات اجتماعية وسياسية ومذهبية قدم مادة خصبة يستقي منها هؤلاء الكتاب قصصهم ، روايات ٢٠٠٣ وما بعدها مادتها هي التحولات العنيفة التي مرت بالمجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي، كانتشار العنف والتهجير الطائفي والغربة عن الوطن، كما في روايتي «طشاري» لإنعام كجه جي و«فرانكشتاين في بغداد» لأحمد السعداوي ، ورواية بنت دجلة لمحسن الرملي .

٢- الأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية هي قواعد سلوكية غير مكتوبة جاءت إلينا منقولة عبر الأجيال والتزم بها أبناء كل مجتمع جاعلين منها قانون واجب التنفيذ من خلال الضغوط الاجتماعية ومن يخرج عنها يعرض نفسه لأنواع العقوبات المجتمعية كالعزل والطرده والبراءة أو مايسمى بالعرف العشائري « كسر العود» .

٣- اللاممكن في الرواية حول نقاش بسيط

ناحية أخرى ودراسة عنصر آخر من عناصر الرواية وهو الفضاء الروائي أو الزمكانية الروائية وهل كانت هذه الزمكانية الروائية مختلفة عنه في الرواية عن الواقع ؟ ما نجده ان في اللاممكن لا يخرج في لغته عن الزمكانية المعروفة في الرواية التقليدية ، فالمكان هو محاكاة للمضيف العراقي الذي ينتشر في جميع مناطق العراق في جنوبه ووسطه وشماله مع اختلاف المسمى وهيئته ، فهو مكان استقبال الضيوف ، أما الزمان فهو ذاك الزمان الذي يندرج ضمن إطارين أثنين ، زمن وعي اللحظة ، المتحول ضمن نسق المتواليات المنفتحة ، او مايعرف بالصورورة ، وبرز هذا الزمن في لحظة تحدي قسمة للشيخ طافر ومحاولتها الحصول على الوقت الكافي لغرض إثبات عدم الفرق بين الرجل والمرأة ، فعندما حاول الشيخ طارق إنهاء الحديث ، أصرت هي على الاستمرار في التحدي والوصول إلى نتيجة رسمية تحدد وجود فرق من عدمه .

أما الزمن الثاني فهو الزمن الطبيعي للحركة الكونية الذي يعدد بالساعات والدقائق والأيام ، وهذا الزمن نجده تقليديا في الرواية فالأحداث جرت في مساء إحدى ليالي الشتاء الباردة ، وتعتبر المدة الزمنية لذلك الحدث تبدأ من دخول النساء إلى مضيف الشيخ طارق من قبل قسمة ومن يرافقها ، وحتى انتهاء السباق وذهاب كل شخص إلى مخدعه ، الكاتب لم

طافر ومنعهم من الدخول إلى البيت ، وهذا يخالف الأعراف الاجتماعية ن وقد زالت بعد ذلك وتم إكرام هؤلاء الضيوف ، واستقبلوا أفضل استقبال ، فحرية منع الضيف غير ممكن اجتماعيا ، ولكن الأمر زال بعد ذلك عندما سمح لهم بالدخول .

يجري في أغلب الأحيان بين الرجال والنساء إلى حادثة خرجت عن الأطر التقليدية ، حملت هذه الحادثة دلالات شكلت حزمة كبيرة من الوحدات التعبيرية المترابطة لحادثة - وكما ذكرنا سابقا - لا يمكن أن تقع على أرض الواقع بأي شكل من الأشكال ، الكاتب جاء بهذا اللاممكن في روايته لإثارة الفضول وزيادة في المتعة

٤-محسن الرملي ومن خلال رواية بنت دجلة وما جاء فيه من حدث غير ممكن حصوله ، صنع عدة معانٍ لحرية أشخاص الرواية وتلك المعاني هي :

-حرية مطلقة ممكنة اجتماعيا وتجلي في كل مافعلته شخصيات الرواية من أفعال وأعمال تتلاءم وتتفق مع قيم وعادات الشعب العراقي والأعراف السائدة فيه ، والشواهد في الرواية كثيرة على ذلك .

-حرية مطلقة غير ممكنة اجتماعيا : تجاوزت في مضمونها قيم وعادات واعراف المجتمع العراقي السائدة والتي تعتبر من القوانين التي لا يمكن تجاوزها ولكن الرواية وكاتب الرواية تجاوز تلك الأعراف والقوانين وتمردت عليها شخصيات روايته وتجلي هذا الأمر في حادثة السباق بين الشيخ طافر وقسمة .

-حرية غير ممكنة اجتماعيا محدودة وزائلة : أي أن هذه الحرية غير ممكنة في الأعراف والتقاليد ولكنها تنتهي عند زوال مسبباتها ، مثل حادثة إيقاف الشيخ طارق وقسمة امام باب قصر الشيخ

الهوامش:

- ١٦ - الرملي محسن ، بنت دجلة : ١٧
- ١٧ - الرملي ، المصدر السابق : ١٨
- ١٨ - الرملي محسن ، بنت دجلة : ٤٣
- ١٩ - الرملي محسن ، بنت دجلة : ٤٣
- ٢٠ - تالكوت بارسونز ، النظرية الوظيفية
- ٢١ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٤٩
- ٢٢ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٥٠
- ٢٣ - المصدر السابق : ٥٠
- ٢٤ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٥١
- ٢٥ - كريستيان موو ، شارلوت فيليس ، التركيب الفسيولوجي للمرأة ، ترجمة بشارة حماد ، مجلة المحادثة ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٥ يونيو ، ٢٠٢٣ : ٢٣١
- ٢٦ - المصدر السابق : ٢٣١
- ٢٧ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٥٢
- ٢٨ - المصدر السابق : ٥٣
- ٢٩ - المصدر السابق : ٥٣
- ٣٠ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٥٦
- ٣١ - المصدر السابق : ٥٦
- ٣٢ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ٥٧
- ٣٣ - المصدر السابق : ٤٩
- ٣٤ - المصدر السابق : ٥٩
- ٣٥ - المصدر السابق : ٦٣
- ٣٦ - محسن الرملي ، بنت دجلة : ١٥٢
- ٣٧ - خطاب د أسماء محمد ، إنعكاس مورفولوجيا أعمال موندريان ، مجلة التراث والتصميم ، مجلد الرابع ، العدد التاسع عشر ، ٢٠٢٤ : ٥٥
- ١ - د. بدر كريم ، الاعراف الاجتماعية ، مجلة المدينة ، العدد السادس ، ٢٠٠٠ : ٣١٢
- ٢ - عيسوي د عبد الرحمن ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، بيروت - لبنان ، دار العودة ، ط ١ ، ١٩٩٢ : ١٦٥
- ٣ - المصدر السابق : ١٦٦
- ٤ - أبو زيد د أحمد ، العادات والتقاليد العربية ، دراسة تحليلية ، ب.ط ، الأردن ، دار الكندي ، ٢٠٠٠ : ١٠٩
- ٥ - علي الوردي: مهزلة العقل البشري، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤، ص(٤٦-٤٧)
- ٦ - ولتر بادجو ، الفيزياء والسياسة ، ترجمة سامي خشبة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٠ : ٦٧
- ٧- زكي نجيب محمود ، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، مؤسسة هنداوي ، مصر - القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٢٠ : ٨٤
- ٨ - علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، دار الحكمة ، بغداد - العراق ، ط ٤ ، ٢٠١٢ : ٤٢
- ٩ - المصدر السابق : ٤٣
- ١٠- أسماء ٣٩٢ صالح ، الشخصية ، وعلاقتها بالمجتمع ، مجلة الخدمة النفسية ، كلية الآداب ، جماعة عين شمس ، مصر ، مجلد ١١ : ٣٩١
- ١١ - المصدر السابق : ٣٩٢
- ١٢ - علي الوردي ، ٢٠١٢ ، مصدر سابق : ١٢٠
- ١٣ - الرملي ، المصدر السابق : ١٧
- ١٤ - البخري ، صحيح البخاري الحديث ٣٢١٤ / باب إكرام الضيف
- ١٥ - حاتم الطائي ، الديوان ، دار المعارف ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٥ : ١٢٣

المصادر :

- ولتر بادجو ، الفيزياء والسياسة ، ترجمة
سامي خشبة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط ١ ،
١٩٨٠
- أسماء صالح ، الشخصية ، وعلاقتها بالمجتمع
، مجلة الخدمة النفسية ، كلية الآداب ، جماعة
عين شمس ، مصر ، مجلد ١١ ، ٢٠١٠
- أبو زيد د أحمد ، العادات والتقاليد العربية ،
دراسة تحليلية ، ب.ط ، الأردن ، دار الكندي
- حاتم الطائي ، الديوان ، دار المعارف ، بيروت
- لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٥
- حطاب د أسماء محمد ، إنعكاس مورفولوجيا
أعمال مونديريان ، مجلة التراث والتصميم ،
مجلد الرابع ، العدد التاسع عشر ، ٢٠٢٤
- د. بدر كريم ، العراف الاجتماعية ، مجلة
المدينة ، العدد السادس ، ٢٠٠٠
- زكي نجيب محمود ، المعقول واللامعقول
في تراثنا الفكري ، مؤسسة هنداوي ، مصر -
القاهرة ، ط ٣ ، ٢٠٢٠
- الطيب د مولود زايد ، تالكوت بارسونز و
التظرية الوظيفية ، دار جرير للنشر والتوزيع ،
مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٥
- عيسوي د عبد الرحمن ، الانثروبولوجيا
الاجتماعية ، بيروت -لبنان ، دار العودة ، ط ١ ،
١٦٦
- علي الوردي: مهزلة العقل البشري، دار كوفان،
لندن، ط٢، ١٩٩٤
- علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي
، دار الحكمة ، بغداد - العراق ، ط ٤ ، ٢٠١٢
- محسن الرملي ، رواية بنت دجلة ، دار المدى ،
بغداد - العراق ، ط ١ ، ٢٠٢٠
- كريستيان موو ، شارلوت فيلبس ، التركيب
الفسولوجي للمرأة ، ترجمة بشارة حماد ،
مجلة المحادثة ، الولايات المتحدة الامريكية ، ١٥
يونيو ، ٢٠٢٣